العقل والنص

إعداد

أ. د. محمـد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

العقل والنص

إعداد

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

[سورة ص: الآية ٢٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والســـلام على سيد ولد آدم، أول شـــافع وأول مشـــفَّع، خاتم الأنبياء والمرســـلين، ســـيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آلـــه وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فـــإن كثيرًا من الإشـــكاليات الفكرية نشـــأت عن غلبة مناهج الحفـــظ والتلقـــين على مناهـــج الفهم والمناقشـــة والتحليـــل؛ حيث تصدرت قضايا الأحكام الجزئية المناهج التعليمية والبحثية، على حســـاب الاهتمام بالقواعد الكلية - الفقهيـــة والأصولية - ومناهج التفكير العقلي والمنطقي، مما جعلنـــا نؤكد ونُلح في التنـــاول والتأكيد أنه لا غنى عن إعمال العقل في فهم صحيح النص وفي تطبيقاته، وفي إنزال

الحكم الشرعي على مناطه من الواقع العملي، وأنه لا بد من إعادة قراءة النص في ضوء مستجدات العصر ومعطيات ومتطلبات ما يقتضيه فقه بناء الدول، فتناول القضايا الفقهية والشرعية يحتاج إلى تأهيل خاص وإعداد علمي وشرعي ولغوي مبكر، يسهم في صنع وصقل موهبة الفقيه والمفتي، مما يتطلب التحصن بأدوات كثيرة، في مقدمتها: دراسة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، إذ لا يمكن أن تُطلَق على إنسان صفة فقيهٍ أو مفتٍ وهو لا يعرف الناسخ من المنسوخ، ولا المطلق من المقيد، ولا المجمل من المفصَّل، ولا المحكم من المتشابه، ولا العلاقة بين اللفظ والسبب، أو العموم والخصوص، ودقائق وأسرار هذه المصطلحات.

كما ينبغي أن يكون الفقيه عالمًا بسُنَّة سيدنا رسول الله ﷺ ودرجة الحكم على الأحاديث ومراتبها، وما ينبغي أن يُقدَّم من الترجيح أو التوفيق عند تعارض ظواهر بعض ألفاظها، فكيف بمن لا يميز بين الثابت والمتغير، أو سنن العبادات من أعمال العادات؟!

وينبغي على الفقيه- أيضًا- الإلمام بأحوال عصره، وواقع الناس وعاداتهم وتقاليدهم، وقوانين الدول ودساتيرها، والمواثيق والعهود الدولية ومتطلباتها، ليكون قادرًا على إنزال الفتوى على مظانها وظروف عصرها لا على مظان وظروف عصور أخرى تغير بعدها الحال والزمان ودنيا الناس.

وينبغي أن يتسع أفقنا لفهم النصوص وإسقاطها على الواقع، فعندما نتحدث عن الصدق ونطلب من الأفراد التحلي به؛ فإننا نطلب - أيضًا- من الدول أن تتحلى به، فالدول الصادقة هي التي تفي بعهودها ومواثيقها والتزاماتها الدولية، أما الدول التي لا تفي بعهود ولا مواثيق، ولا تقيم شأنًا للقيم والأخلاق فمآلها السقوط والاندثار، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعندما نتحدث عن حق الجوار؛ فإننا يجب ألا ننسى حق الجوار الدولي، فكما أن الإنسان الشريف لا يؤذي جاره، ولا يسمح أن يُؤْذَى جاره من قبله، فكذلك الدول العظيمة

تحترم حق الجوار، ولا تسمح بأن تؤتى جاراتها عبر حدودها، أو أن تكون هي طريقًا لتسرب المتطرفين إلى أي منها.

وعندما نتحدث عن آداب الاستئذان ينبغي أن ننظر إليه بصفة أعم من الاستئذان لدخول منزل شخص ما فحسب، فحرمة الدول كحرمة البيوت وأشد، وكما لا يجوز أن تَدْخُلَ بيت أحد إلا بإذنه؛ فإنه لا يجوز أن تدخل دولة دون الإذن القانوني المعتبر لدخولها.

وعندما نتحدث عن القصد في المشي؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، الآية ١٩]؛ فإننا نعني القصد في المشي وعدم الاختيال مطلقًا، سواء أكان الإنسان ماشيًا على قدميه أم مستقلًا دراجته أم راكبًا سيارته، بل إن الاختيال بالسيارة أشد جرمًا من الاختيال بالمشي على القدمين، لما في الثاني من كسر نفوس الفقراء، وأسوأ من ذلك أن يصل الاستعلاء بالنفس إلى تجاوز قواعد السير وقوانين المرور التي تنظم عملية السير في الطريق حفاظًا على الأنفس والأموال وسلاسة الحركة.

فالغاية والمقصد إنما هــو النهي عن التكبر على خلق الله والاســتعلاء عليهم بأي نوع من أنواع الاستعلاء، والمشي في الآيــة هنا ليس مقصودًا به المشي على القدمين فقط، وإنما المقصود به النهي عن مطلــق الاختيال والعجب والغرور بالنفس؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان٣٧، ٣٨].

وهكذا نُعمــل العقل في فهم مقاصــد النص، بما ييسر للناس أمور حياتهم، وتنصلح به أحوال معاشهم ومعادهم، مع الحفاظ على ثوابت الشرع الشريف وعدم المســاس بها، والتفرقة بوضوح بين المقــدس وغير المقدس، وبين الثابت والمتغير، فإنــزال الثابت منزلة المتغير هدم للثوابت، وإنزال المتغير منزلة الثابت عين الجمــود والتحجر والتخلف عن ركب الحضارة والإنسانية.

ونعرض في هذا الكتاب عددًا من الموضوعات والقضايا المهمة، مثل: الضيق والسعة بين العلماء والجهلاء، والبصيرة

في الدعوة والفتوى، وحق الجوار الدولي، وصناعة الوعي، وأسباب رفع البلاء، وأبجديات الحوار، وغيرها.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

دور العقل في فهم النص

لا غنى عن إعمال العقل في فهم صحيح النص وفي تطبيقاته، وفي إنزال الحكم الشرعي على مناطه من الواقع العملي، كما أنه لا بد من إعادة قراءة النص في ضوء مستجدات العصر.

ولنأخذ نموذجين لكي يتضح ما نرمي إليه:

الأنموذج الأول: التوكل على الله، ومن ذلك قول النبي ﷺ للأعرابي الذي سأله عن ناقته: أعقِلُها وأتوَكَّلُ أو أطلِقُها وأتوَكَّلُ؟ فقالَ ﷺ: «اعقِلها وتوَكَّلْ»[1]، على أن التوازن بين الأخذ بالأسباب والتسليم بقضاء الله وقدره لا يقف عند حدود عقل الناقة مع حسن التوكل؛ إنما يشمل كل جوانب الحياة، فعلى الطالب أن يجتهد في مذاكرته ثم يحسن التوكل على الله ﷻ في أمر نتيجته، وعلى

(١) سُنن الترمذي، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، بعد تسعة وثلاثين بابًا منه، حديث رقم ٢٥١٧.

الزارع أن يأخذ بأسباب العلم في زراعته، ويحسن القيام عليها، ثم يحسن التوكل على الله في نتاجها.

وفي ظروفنا الآنية في مواجهة فيروس كورونا نقول: ارتد الكمامة وتوكل، نظف يديك وتوكل، تجنب المصافحة وتوكل، حقق التباعد الاجتماعي وتوكل، خذ بجميع الأمور الاحترازية والإجراءات العلمية والطبية وتوكل، وهكذا في سائر الأمور الحياتية، وبهذا نكون قد فهمنا وحققنا وطبقنا معنى قول نبينا ﷺ «اعقلها وتوكل».

الأنموذج الثاني: القصد في المشي؛ حيث يقول الحق ﷻ على لسان لقمان عليه السلام في وصيته لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

فالقصد في المشي هو الاعتدال وعدم الخيلاء فيه، وذلك لا يقف عند حدود الماشي على قدميه، إنما يعني القصد في المشي

(١) [سورة لقمان، الآيات ١٧- ١٩].

وعدم الاختيال مطلقًا، سواء أكان الإنسان ماشيًا على قدميه أم مستقلًا دراجته أم راكبًا سيارته، بل إن الاختيال بالسيارة أشـد جرمًا من الاختيال بالمشي على القدمين؛ لما في الثاني من كسر نفوس الفقراء، وأسـوأ ما في ذلك أن يصل الاستعلاء بالنفـس إلى تجاوز القوانين المنظمة للمرور والسـير، مع أن الالتـزام بقواعد المرور العامة إنما هـو للحفاظ على حياتك وحيـاة الآخرين، ممـا يتطلب أن تلتـزم بالسرعات المقررة وبإشارات المرور وتعليماته وبآدابه وأحكامه دون أن يستعلي أحد على الآخرين بسيارته الفارهة أو بدراجته الأحدث.

والحـق ﷻ يقـول: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[1]، فالغاية والمقصد إنما هو النهي عن التكبر على خلق الله والاسـتعلاء عليهم بأي نوع من أنواع الاسـتعلاء، والمـشي في الآية هنا ليس مقصودًا به المشي على القدمين فقط، وإنما المقصود به النهي عن مطلق الاختيال والعجب والغرور بالنفس، وقد سـئل أحدهم: ما السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟ فقال: الكبر.

(١) [سورة الإسراء، الآية ٣٧].

يقول الشاعر[1]:

ولا تمشِ فوق الأرضِ إلَّا تواضعًا

فكم تحتها قومٌ هم منك أرفعُ

فإن كنتَ في عزٍّ وخيرٍ ومنعةٍ

فكم مات مِن قومٍ هم منك أمنعُ

وختامًا نؤكد أهمية فهم مرامي النصوص ومقاصدها، ونحذر من المتحجرين الذين يقفون عند ظواهر النصوص لا يتجاوزن الظاهر الحرفي لها، فيقعون في العنت والمشقة على أنفسهم وعلى من يحاولون حملهم على هذا الفهم المتحجر.

* * *

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ). المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: دار الكتب العلمية- بيروت (ص: ٦١). قال: أنشدني الكريزي، وهو: الشاعر منصور ابن محمد الكريزي شاعر عباسي، وله جملة قصائد ومقطوعات نقلها عنه معاصره مؤلف «روضة العقلاء».

الضيق والسعة
بين العلماء والجهلاء

لعل أهم فارق بين العلماء والجهلاء هو مدى فهم هؤلاء وأولئك لقضايا الحل والحرمة، والضيق والسعة، فالعالم يدرك أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة، وأن التحريم والمنع هو استثناء من الأصل، يقول الحق سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»[2]، ويقول ﷺ: «مَا أَحَلَّ اللهُ

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٤٥].
(٢) سُنن الدارقطني، كِتَابُ الرَّضَاعِ، حديث رقم ٤٣٩٦.

فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللهِ عَافِيَتُهُ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1]» [2].

فالجهلاء يجعلون الأصل في كل شيء التحريم والمنع، ويطلقون مصطلحات التحريم والتفسيق والتبديع والتكفير دون وعي، غير مدركين ما يترتب على ذلك من آثار، وغير مفرقين بين التحريم والكراهية ولا حتى ما هو خلاف الأولى، فصعبوا على الناس حياتهم، ونفروهم من دين الله ﷻ وهو ما حذر منه نبينا ﷺ؛ حيث يقول: «بشروا ولا تنفروا فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[3]، وقوله لسيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما شكا إليه ﷺ بعض الناس أنه يطيل بهم الصلاة: «يا مُعاذُ، أفتَّانٌ أنت؟»[4].

أما الفريق الآخر وهم العلماء؛ فقد أدركوا بما لا يدع أي مجال للشك أو الارتياب أو حتى الجدل أن الأديان إنما جاءت لسعادة الناس لا لشقائهم؛ حيث يقول الحق سبحانه:

(١) [سورة مريم، الآية ٦٤].
(٢) مسند الشاميين للطبراني ج ٣/ ص ٢٠٩، حديث رقم ٢١٠٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ، حديث رقم ٢٢٠.
(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الآذان، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ، حديث رقم ٧٠٥، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي الْعِشَاءِ، حديث رقم ٤٦٥.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[1]، ويقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[3].

وفقهوا أن الفقه رخصة من ثقة، وأن الفقه هو التيسير بدليل، وأن النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلَّا أخذ أيسرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه[4]، فأخذوا الناس إلى طريق الشريعة السمحاء النقية التي لا تنال منها المطامع ولا الأهواء ولا التوظيف الأيديولوجي، مع تأكيدنا أن هذا التيسير الذي نريده شيء وأن التسيب والانفلات شيء آخر، فالتيسير الذي نريده هو التيسير المنضبط بضوابط الشرع، لا ذلكم التسيب المبني على الهوى.

فتحت مسمى الالتزام والأحوط والاحتياط فتحت أبواب التشدد التي ساقت وجرفت الكثير في طريق

(١) [سورة طه، الآيتان ١ ، ٢].
(٢) [سورة الحج، الآية ٧٨].
(٣) [سورة البقرة، الآية ١٨٥].
(٤) أصله حديث عائشة في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لله عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، حديث رقم ٢٣٢٧. ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله ﷻ».

التطرف، حتى ظن الجاهلون أن التحوط في التدين يقتضي الأخذ بالأشد، وأن من يتشدد أكثر هو الأكثر تدينًا وخوفًا من الله ﷻ، وتحت مسمى التيسير فتحت بعض أبواب الخروج عن الجادة، وديننا يريدها وسطية سوية، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا إفراط ولا تفريط.

* * *

البصيرة في الدعوة والفتوى

يقول الحق ﷻ في كتابه العزيز مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، والبصيرة تعني العلم والدراية والرؤية والبينة، وقد حذر نبينا ﷺ من التجرؤ على الفتوى أو على القول في دين الله ﷻ بغير علم ولا بينة ولا بصيرة، فقال لمن أفتوا الرجل من دون علم فاغتسل على جرحه فمات: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله، أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جَرْحِهِ ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهِ وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»[2].

ويقول نبينا ﷺ: «أجرؤكم على الفُتيا أجرؤكم على النار»[3]، ويقول ﷺ: «إِنَّ الله لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ

(١) [سورة يوسف، الآية ١٠٨].
(٢) سُنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، حديث رقم ٣٣٦.
(٣) سُنن الدارمي، المقدمة، بَابُ الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، حديث رقم ١٥٩، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ».

مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1]، وكان أصحاب النبي ﷺ يُسألون فيحيل الواحد منهم إلى الذي يليه، حتى يرجع السؤال للأول مرة ثانية، إذ كانوا يستشعرون عظم أمر الفتوى.

فشأن الإفتاء عظيم، وأمره جلل، إذ ينبغي للمفتي أن يكون عالمًا بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، وأن يكون عارفًا بمسائل الإجماع، عالمًا بلسان العرب، عالمًا بعلم أصول الفقه، عارفًا بالناسخ والمنسوخ، وفقه الأولويات، وفقه الواقع وأحوال الناس وأعرافهم.

غير أن هناك أناسًا لا علم لهم ولا فقه، ولا هُمْ من المجتهدين ولا حتى من أهل الاختصاص أو دارسي العلوم الشرعية من مظانها المعتبرة يسرعون في رمي المجتمع بالتبديع، ثم التجهيل، فالتكفير، حتى وصل الأمر بغلاتهم إلى التفجير واستباحة الدماء؛ مما يتطلب حركة سريعة وقوية وغير هيّابة لمواجهة الجمود والفكر المتطرف معًا،

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ، حديث رقم ١٠٠.

حتى نُخلِّص المجتمع والإنسانية من خطر التطرف الفكري وما يتبعه من تبني الإرهاب منهجًا وسلوكًا.

أما في مجال الدعوة؛ فإن البصيرة تقتضي الحكمة والموعظة الحسنة؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

وهو ما علمنا إياه نبينا ﷺ في دعوته التطبيقية، فعن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مع رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَالله، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي،

(١) [سورة النحل، الآية ١٢٥].

قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[1].

فما أحوجنا إلى التأدب بأدب الإسلام في الفتوى بعدم الجرأة عليها دون علم ولا تأهل ولا اختصاص، وفي الدعوة بأن تكون دائمًا بالحكمة والموعظة الحسنة، فدور العلماء هو البلاغ لا الهداية والحساب، فأمرهما إلى الله وحده.

والفتوى أمانة ثقيلة تحتاج إلى تأهيل خاص وإعداد علمي شرعي ولغوي مبكر، يسهم في صنع وصقل موهبة الفقيه والمفتي، وليس مجرد هواية أو ثقافة عامة، ولا كلأ مباحًا لغير المؤهلين، وإذا كان نبينا ﷺ يقول: «...إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[2]، فأي خطر أشد من إقحام غير المؤهلين وغير المتخصصين لأنفسهم في مجال الإفتاء أو السماح لهم بذلك؟!

وإذا كانت الحكمة تقتضي وضع كل شيء في موضعه، ووصفه بما يناسبه لا بوصف غيره؛ فإن إطلاق كلمة الفقيه

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم ٥٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ سُئِلَ عِلْماً وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، حديث ٥٩.

أو المفتي على من هو غير جدير بها يُشَـكِّل خطرًا جسـيمًا على الأمـن الفكري للدول والمجتمعـات، فكلٌّ من الفقه والفتوى صناعة ثقيلة تتطلـب أدواتٍ كثيرة، في مقدمتها: دراسـة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وبخاصة التفسير وعلوم القرآن؛ إذ لا يمكن أن تُطلق على إنسـان صفة فقيه أو مفتٍ وهو لا يعرف الناسخ من المنسوخ، ولا المطلق من المقيد، ولا المجمل من المفصَّل، ولا المحكم من المتشـابه، ولا العلاقة بين اللفظ والسبب.

كما ينبغي أن يكون الفقيه عالمًا بسُـنَّة سـيدنا رسول الله ﷺ ودرجـة الحكم عـلى الحديث، ومـاذا ينبغي أن يصنع مـن الترجيح أو التوفيق عند تعارض ظاهر بعض الألفاظ، فكيف إذا كان لا يميز بين الثابت والمتغير، وبين سُنن العبادات وأعمال العادات؟!

ولا بد للفقيه مـن إتقان علوم اللغـة العربية، فلا فهمَ صحيحًا للكتاب والسُّنَّة إلا بالبراعة فيها، ولا غنى له أيضًا عن علم أصول الفقه، ومعرفة الأدلة المتفق عليها، والأدلة المختلف فيهـا، وآراء الأصوليين والفقهاء في كل دليل من الأدلة المختلف فيها، وطرق الاستنباط منها.

كما أنــه لا يمكن للفقيه أن يصقل مواهبه دون دراســة دقيقة لآراء الفقهــاء المتقدمين من الصحابــة، والتابعين، وتابعي التابعين، وأصحاب المذاهــب الأربعة: الإمام أبي حنيفــة، والإمام مالك، والإمام الشــافعي، والإمام أحمد، وكِبار فقهاء المذاهب.

* * *

رسالة العلماء

رسالة العلماء عظيمة عظم الأمانة التي يحملونها، وهي أمانة العلم، وأمانة الدعوة، وأمانة التبليغ، أما من حيث الأمانة في التبليغ فيقول نبينا ﷺ: « نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[1]، ويقول ﷺ: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

وأما من حيث إخلاص النية لله ﷻ في أداء الرسالة فيقول الحق سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ

(١) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الْعِلْمِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، حديث رقم ٢٦٥٨.
(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث ٣٤٦١.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ويقول ﷺ: «لاَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا تماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[2]، ويقولون: من تعلم العلم ثم عمل بما تعلمه ثم علم الناس فذلك يدعى عظيمًا في الملكوت والسماوات.

وإذا كان العلماء ورثة الأنبياء فعليهم أن يدركوا طبيعة المهمة التي اصطفاهم الله ﷻ لها، وأنها ليست مهمة تكسب بالعلم أو بالدعوة؛ حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا محمد ﷺ: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾[3]، ويقول سبحانه على لسانه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾[4]، ويقول سبحانه على لسان أنبيائه: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٨٢].
(٢) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْعِلْمِ، ذِكْرُ وَصْفِ الْعِلْمِ الَّذِي يُتَوَقَّعُ دُخُولُ النَّارِ فِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ طَلَبَهُ، حديث رقم ٧٧.
(٣) [سورة سبأ، الآية ٤٧].
(٤) [سورة الفرقان، الآية ٥٧].

السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، بصيغة واحدة تؤكد وحدة الهدف والمنهج وصدق النية مع الله ﷻ وتمام الإخلاص له سبحانه لدى رسل الله أجمعين.

إضافة إلى أن العالم الحقيقي لا يُمَنِّي الناس ولا يعدهم بشيء من عرض الحياة الدنيا إنما يعدهم رحمة من الله وفضلًا؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، فالرسالات السماوية رسالات سامية لا يمكن لأهلها أن يكونوا تجار دنيا، أو متاجرين بدين الله ﷻ على نحو ما يفعل المتاجرون بالدين والمتكسبون به أفرادًا أو جماعات مارقة.

(١) [سورة الشعراء، الآية ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٦٨].
(٣) [سورة هود، الآية ٣١].

مع تأكيدنا أمرين:

الأول: التعلم المستمر وطلب العلم من المهد إلى اللحد، فالمحبرة إلى المقبرة.

والآخر: تفهم أن كل ما جاء في إعلاء شأن العلم؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: «منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل الله لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمرِ عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ»[2]، إنما هو في مطلق العلم وليس العلم الشرعي وحده، فقد جاءت كلمة «علمًا» في قوله ﷺ: «منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا» نكرة لإفادة العموم والشمول.

(١) [سورة الزمر، الآية ٩].
(٢) سُنن أبي داود، كتاب العلم، بَابُ الحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم ٣٦٤١.

والمراد بالعلم النافع كل ما يحمل نفعًا للناس في شـئون دينهم، وشـئون دنياهـم، في العلوم الشرعيـة أو العربية، أو علـم الطب، أو الصيدلة، أو الفيزيـاء، أو الكيمياء، أو الفلك، أو الهندسـة، أو الميكانيكا أو الطاقة، وسائر العلوم والمعـارف، وأرى أن قوله تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] أعم مـن أن نحصر أيًّا منهما أو نقتـصره على علم الشريعة وحده، فالأمر متسـع لكل علم نافـع، والمراد بأهل الذكر أهل الاختصاص، كلٌّ في مجاله وميدانه.

* * *

(١) [سورة الزمر، الآية ٩].
(٢) [سورة النحل، الآية ٤٣].

دقائق الأمور

لكل علم أو فـــن أسراره ودقائقه التي لا يعرفها إلا من يسبر أغواره، ويحيط بكل جوانبه ودقائقه وأبعاده.

ومن هـــذه الدقائق العلاقة بين الدين والسياســـة، وبين الدين والوطن.

أما الدين فأمره بَيِّنٌ واضح، تحكمه علاقة العبد بربه ﷻ، حتى علاقاته بالآخرين والمجتمع والوطن فهي - في المنظور الديني - من بـــاب مرضاة الله ﷻ، فكل ما يؤدي إلى تحقيق صالح البلاد والعباد، والبناء والتعمير، ومكارم الأخلاق، فهو مـــن صميم مقاصد الأديـــان، أما ما يـــؤدي إلى الهدم والتخريب وأذى الآخرين، فالأديان منه براء.

أما السياســـة فعامة وحزبية، فالعامة تعني إدارة شئون البلاد والعباد والمؤسســـات بما يحقق صالح الوطن وأهله، وأما السياسة الحزبية فمع كونها أداة ديمقراطية لا غنى عنها

لإثراء المشـــهد الســـياسي العام، فإن على مؤسسات الدولة جميعًا – دينية أو غير دينية – أن تنأى بنفســـها عن دعم أي حزب على حساب آخر أو مرشح انتخابي على حساب آخر.

وأمـــا الجوانب الوطنية فهي تلـــك القضايا التي لا غنى عنها لبناء وطن وتحقيق أمنه وســـلامته وتقدمه وازدهاره، وتجنيبه كل ما يعوق مسيرة تقدمه أو ينال منها.

وعندمـــا يتناول الخطـــاب الدينـــي القضايـــا الوطنية والاجتماعية إنما يتناولها من منظور إيمانه بها ودعمه لها إعلاءً للمصلحة العامة.

ولا يجادل أحد في أن البُعد الاجتماعي أحد أهم مجالات إصـــلاح المجتمع، ودليـــل تحضره، وعلامـــة رقيه، وأحد أســـباب تقدمه، فحين انكفـــأ الخطاب الديني على نفســـه وغاب عن معالجة قضايا المجتمـــع اتُّهِمَ أصحابُه بالرجعية وأنهم يعيشـــون خارج الزمن، فإذا أخذ علماء الدين بزمام المبادرة في أداء واجبهم تجاه المجتمع اتهمهم البعض بخلط الديني بالسياسي.

ونؤكد أن تناول القضايا الوطنية والاجتماعية والمجتمعية لا يعد أبدًا من باب خلط الديني بالسياسي، والعبرة بطريقة

الأداء والتنـــاول، فالجوانب المهنيـــة والفنية هي عمل أهل الاختصـــاص، أما الجوانـــب الإصلاحية العامـــة المتعلقة بالمصالح والمفاســـد، واحـــترام النظام العـــام للمجتمع، فهي رســـالة نبيلة لكل المصلحين مـــن العلماء، والمفكرين، والإعلاميين، فالإصلاح مسئولية مجتمعية مشتركة.

على أننـــا نؤكد أنه كلما ارتفع المســـتوى الثقافي وارتفعت درجة الوعـــي في أي مجتمع من المجتمعـــات وَضَعَ الأمور في نصابها، وقاســـها بمقاييس دقيقة وتكاملت مؤسساته في معالجة قضاياه، وحل التوافق محل التنازع والتناحر بين أبنائه.

ويجب أن نفرق بين ما يكـــون الحكم فيه دينيًّا بحتًا، وما يكون الحكم فيه مهنيًّا مرجعه إلى أهل الاختصاص، ويتبع الرأي الديني فيه الرأي المهني التخصصي، ففي مجال الطب يأتي الرأي الشرعي مبنيًّا على الرأي الطبي، وفي مجال الهندسة فإن الرأي الشرعـــي يتبع الرأي الفني الهنـــدسي، فقواعد العمل وضوابطه هي اختصاص أهـــل كل فن، ولكن من خرج على القواعد واللوائـــح والقوانين فأدى خروجه إلى قتـــل النفس فهو قاتل، فإن أضر بحيـــاة الناس فإثمه بقدر الضرر الواقع منه، فالقاعدة أنه لا ضرر ولا ضرار.

على أننا نؤكد أن العلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة عداء ولن تكون، فإنَّ تديُّنًا رشـيدًا صحيحًا واعيًا وسطيًّا يُسـهم وبقوة في بناء واسـتقرار دولة عصريـة ديمقراطية حديثة تقوم على أسـس وطنية راسـخة وكاملة، وإن دولة رشـيدة لا يمكن أن تصطدم بالفطرة الإنسانية التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح.

الدين والدولة لا يتناقضان، الدين والدولة يرسخان معًا أسـس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات، وأن نعمل معًا لخير بلدنا وخير النـاس أجمعين، أن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسـنا، الأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان إنسانية، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا مشرد ولا محتاج.

الدين والدولـة يدفعان إلى العمل والإنتـاج، والتميز والإتقـان، ويطـاردان البطالـة والكسـل، والإرهـاب والإهمال، والفساد والإفساد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن، والعمالة والخيانة.

ونؤكد أن من يتوهمون صراعًا -لا يجب أن يكون- بين الديـــن والدولة ويرونه صراعًا محتّمًا، إمـــا أنهم لا يفهمون الأديـــان فهما صحيحًـــا وإما أنهم لا يعـــون مفهوم الدولة وعيًا تامًا، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشـــيدة، إنما ينشأ الخلل من ســـوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعتهما معًا.

غير أننا نؤكد ضرورة احترام دســـتور الدولة وقوانينها، وإعلاء دولة القانون، وألا تنشـــأ في الدول سلطات موازية لسلطة الدولة أيًّا كان مصدر هذه السلطات، فهو لواء واحد تنضوي تحته وفي ظله كل الألوية الأخرى، أما أن تحمل كل مؤسســـة أو جماعة أو جهة لواء موازيًـــا للواء الدولة، فهذا خطر داهم لا يستقيم معه لا أمر الدين ولا أمر الدولة.

* * *

حق الجوار الدولي

حق الجـوار حق أصيل في الإسـلام؛ حيث يقول الحق سـبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [1]، وقد سـأل رجل سيدنا رسول ﷺ أن يدله عـلى عمل يدخله الجنة، فقال لـه النبي ﷺ: «كُنْ مُحْسِنًا»، فَقَالَ: كَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ قَالَ: «سَلْ جِيرَانَكَ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّكَ مُحْسِنٌ، فَإِنَّكَ مُحْسِنٌ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّكَ مُسِيءٌ، فَإِنَّـكَ مُسِيءٌ»[2]، وكانت العرب قديماً تعرف حق الجيران، وفي أمثالهم: «جارٌ كجار أبي دؤاد»[3]، وكان هذا الرجل من

(١) [سورة النساء، الآية ٣٦].

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، حديث رقم ١٣٩٩. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٣) تصحيفات المحدثين، أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ). المحقق: محمود أحمد ميرة. ط: المطبعة العربية الحديثة – القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٢. ص: ٢ / ص ٨٤٠.

خيرة الجيران لجيرانــه، كان إذا مات أحد جيرانه وداه أي: دفع لأهله ما يعــادل دية رجل، وإذا فُقد لجاره شيء أخلفه عليه من ماله.

وعندمــا جاء بعض الناس إلى ســيدنا رســول الله ﷺ وذكروا له امرأة صوّامة قوّامــة، تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها تؤذي جيرانها بلســانها، قال ﷺ: «هِيَ فِي النَّارِ»[1]، وقــال ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَــابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُــمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»[2]، وقال ﷺ: «مَــا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[3].

ويقول نبينا ﷺ: «مَــنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»[4]، ويقــول ﷺ: «وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[5]، أي الذي لا يأمن جاره شره.

(١) مسند أحمد: ج١٥، ص ٤٢١، حديث رقم ٩٦٧٥.
(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ، حديث رقم ١٩٤٤.
(٣) متفق عليه: صحيح البخــاري، كِتَابُ الأدب، بَابُ الوَصَاةِ بِالجَارِ، حديث ٦٠١٥. وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حديث رقم ٢٦٢٤.
(٤) صحيــح البخاري، كِتَابُ الأدب، بَــابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِــرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، حديث ٦٠١٨.
(٥) صحيح البخاري، كِتَابُ الأدب، بَابٌ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ، حديث ٦٠١٦.

فمن حق الجار أنه إذا مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن استعان بك أعنته، وإذا استغاث بك أغثته، وأن تكُفَّ عنه الشر لا أن تؤذيه أنت بأي لون من ألوان الشر قولًا أو فعلًا، مع ضرورة مراعاة أعلى درجات المروءة معه، وقد جعل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ شهادة الجار لجاره أو عليه من أعلى درجات التزكية أو الجرح؛ لأن الإنسان وإن خدع بعض الناس بعض الوقت فإنه لا يمكن أن يخدع جيرانه كل الوقت[1].

وكان سيدنا أبو الدرداء ﷺ يقول لزوجه: إذا طهيتِ طعامًا فأكثري المرق حتى نرسل لجيراننا منه، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»[2].

(١) ذكر نحوه ابن قتبة الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، وهو: أبو بكر أحمد ابن مروان الدينوري المالكي (المتوفى:٣٣٣هـ). المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط: جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت- لبنان) ١٤١٩هـ ص: ٨٦ ولفظه: قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ: إِنَّ فُلَانًا رَجُلُ صِدْقٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ سَافَرْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فهل كان بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلِ ائْتَمَنَتْهُ عَلَى شَيْءٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، أَرَاكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُهُ فِي الْمَسْجِدِ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حديث رقم ٢٦٢٥.

وعَــنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَــاةٌ فِي أَهْلِــهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَــالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَــا اليَهُودِيِّ؟أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَــا اليَهُودِيِّ؟ سَــمِعْتُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَــيُوَرِّثُهُ»[1]؛ حيث إن النبي ﷺ قد أوصانا بحسن الجوار على إطلاقه، ومعاملة جميع الجيران بما يستوجبه حق الجوار.

على أن الــذي نؤكده أن حق الجوار ليــس حقًّا للأفراد فحسب، إنما هو حق للدول أيضًا، فكما أن للجوار الفردي حقًّا فإن لجــوار الدول حقوقًا، من أهمهــا: حفظ الحدود، وحفظ العهود والمواثيق والاتفاقيات، وألا يؤتى جارك من قِبلك، وأن تغيثه إذا اســتغاث بك، وهو ما تقوم به الدولة المصرية في تعاملها مع ســائر جيرانها، ولا ســيما الأشــقاء الليبيين الذين لهم أكثر من حق، فحقهم لا يقف عند حدود الجوار إنما يتجاوزه إلى حقوق كثيرة يعرفها القاصي والداني.

* * *

(١) سُــنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ، حديث رقم ١٩٤٣.

صناعة الوعي

صناعــة الوعي صناعــة ثقيلة أصعب بكثــير من جميع الصناعات الحرفيــة والمهنية، وبخاصة إذا كانت صناعة هذا الوعي تتطلــب تغيير بعض القناعات أو الموروثات الفكرية والأيديولوجية، أو تعديل المسار الفكري، فالتخلية أصعب بكثير من كل عمليات التحلية، وأرى أن عملية تعديل المسار الفكري وتصحيح المفاهيم الخاطئة يتطلبان تضافرًا مجتمعيًّا كبيرًا بين جميع مؤسسات صناعة الوعي: الدينية، والتعليمية، والإعلاميــة، والثقافية، والفكريــة، والتربوية، والأسرية، والفنيــة؛ لننجو بأبنائنا وشــبابنا ومجتمعاتنــا من محاولات الاختطاف وعمليات التغييب وتزييف الوعي.

أما فيما يتصــل بمواجهة عملية تزييف الوعي فأرى أنها تحتاج إلى أمرين أساسيين:

الأول: التكاتف بين جميع مؤسسات بناء الوعي والتنسيق فيما بينها لمواجهة عمليات التزييف والتغييب.

الأمر الآخر: هــو الاتصال المباشر، وهذا الدور يقوم به بصفة أساســية إمام المسجد ســواء في مسجده أم في محيطه المجتمعي، ويقوم به المعلم في مدرســته ومحيطه المجتمعي، وأســتاذ الجامعة في جامعته ومحيطــه المجتمعي، كما أن على كل كاتب ومفكــر وإعلامي ومثقف وأديــب أو فنَّان ألا يقتصر دوره على حدود ما يكتب أو يقدم من عمل علمي، أو فنــي أو درامي أو غــيره، إنما عليــه أن يجتهد في أقصى درجــات التواصل بينه وبين ذويه ومحبيــه ومتابعيه، كما أن للمرأة الواعية دورًا كبيرًا في ذلك، وهو ما تقوم به واعظات الأوقاف بالتعاون مع المجلس القومي للمرأة، سواء أكان في دروسهن أم في محيطهن الاجتماعي أم بالتعاون مع الرائدات الريفيات والمرشــدات الصحيات من خلال حملات طرق الأبواب وغيرها.

وإذا كان تشــكيل وعي أمة أو بنــاء ذاكرتها لا يتم بين لحظة وأخرى أو بين عشــية وضحاها، إنما هو عملية شاقة ومركبة، فــإن الأصعب هو إعادة بناء هذه الذاكرة أو ردها إلى ما عســى أن تكون قد فقدته مــن مرتكزاتها، فما بالكم لو كانت هــذه الذاكرة قد تعرضت للتشــويه أو محاولات

الطمس أو المحو أو الاختطاف، ولا سيما لو كان ذلك قد استمر لعقود أو لقرون؟!

لقد تعرضت ذاكرة الأمة عبر تاريخها الطويل لمحاولات عديدة من المحو أو الشطب أو التغيير، ناهيك عن محاولات الاختطاف وحالات الخمول والجمود، وأصبحنا في حاجة ماسة إلى استرداد هذه الذاكرة من خلال إعادة تنشيطها وتخليصها مما علق بها من شوائب في مراحل الاختطاف والتشويه التي قام بها أعداء الأمة ومن وظفوه لخدمتهم من جماعات التطرف والإرهاب.

وإذا كان من حاولوا السطو على ذاكرة أمتنا قد استخدموا المغالطات الدينية والفكرية والثقافية والتاريخية للاستيلاء على هذه الذاكرة؛ فإن واجبنا مسابقة الزمن لكشف هذه المغالطات وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان أوجه الحق والصواب بالحجة والبرهان من خلال نشر الفكر الوسطي المستنير، مع اعتبار العمل على خلق حالة من الوعي المستنير واسترداد ذاكرة الأمة التي كانت مختطفة أولوية المرحلة الراهنة، مع التكثيف والإلحاح المستمر على مفردات هذا

الوعي.

على أن بناء الوعي يتطلب الإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا؛ لأننا دون إدراك هذه التحديات ودون الوعي بها لا يمكـــن أن نضع حلولًا ناجحة أو ناجعـــة لها، وإذا كان المناطقة يؤكدون أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإن معالجته أو مواجهة ما يرتبط به من تحديات لا يمكن أن تتم دون سبر أغوار وأعماق ما يراد الحكم عليه أو معالجته.

* * *

تحويل القبلة بين النص والواقع

يقول الحق سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، لافتًا نظرنا بقوة إلى خطورة المرجفين في الناس، وبُغاة الفتنة والشر؛ حيث يقول سبحانه في شأن المنافقين ومروجي الشائعات: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]،

(١) [سورة البقرة، الآيتان ١٤٢، ١٤٣].
(٢) [سورة التوبة، الآية ٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

مما يجعلنا نتنبه بقوة إلى خطورة الشائعات وخطورة مروجيها، وحتمية الاستيثاق من الأخبار قبل نشرها أو إذاعتها؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[2].

ويقول الحق ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3].

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٦٠].
(٢) [سورة الحجرات، الآية ٦].
(٣) [سورة البقرة، الآية ١٧٧].

فالعبرة في شـــأن القبلة وغيرها إنما هي بحسن الامتثال لأوامر الله ﷻ أن يجدك حيث أمرك، وألا يجدك حيث نهاك، وأن تكون دائمًا عند مراده سبحانه.

ومن الخطأ الفادح أن يكتفى في الأمور بشـــكلها دون فهم جوهرهـــا ومضمونها، فقد عانينا كثـــيرًا من أصحاب التدين الشـــكلي والتدين النفعي، ســـواء هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر، وإعطاء المظهر الشـــكلي الأولوية المطلقة متناســـين أن صاحب المظهر الشـــكلي الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعد أحد أهم معاول الهدم والتنفير أو أصحاب التدين النفعي فهم الذين يتخذون من الدين وســـيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس وبخاصة العامـــة- لدينهـــم-، وإيهامهم بأن هدفهم مـــن الوصول إلى الســـلطة إنما فقط هو خدمة دين الله ﷻ والعمل على نصرته والتمكين له.

أما الدرس الأعظم الذي نســـتفيده مـــن دروس تحويل القبلة هو التحول مـــن الشر إلى الخير، والتحول من الأنانية

إلى الإيثار، ومن الشـــح والبخل إلى الكرم والسخاء، ومن التعلق بالدنيا إلى الاستعداد للآخرة، ومن الحقد والحسد إلى حب الخير للناس، ومن الجهل إلى العلم، ومن الســـخط إلى الرضـــا، ومن الجزع إلى الصبر، ومن اليأس إلى الأمل، ومن الظلمات إلى النور، ومن هجر القرآن إلى المداومة على تلاوته وفهمه وامتثال أوامره ونواهيه، ومن الفحش والخنا إلى عفة اليد والنفس واللسان، ومن الســـباب والفسوق إلى الكلم الطيب، ومن أذى الجار إلى إكرامه، ومن ســـيىء الأخلاق إلى مكارمها ومحاســـنها، ومن كل ما يغضب الله ﷻ إلى كل ما يرضيه (سبحانه) ويحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة.

* * *

حديث القرآن عن الأمن

تحدث القرآن الكريم عن الرزق والأمن وربط بينهما في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1]، فلما كانت القرية آمنة مطمئنة يتعاضد أبناؤها في الحفاظ على أمنها كان يأتيها رزقها رغدًا وفيرًا هانئًا من كل مكان، فلما كفرت بأنعم الله ﷻ عليها وجحدتها أذاقها الله ﷻ لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

ويقول سبحانه في سورة قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾[3]،

(١) [سورة النحل، الآية ١١٢].
(٢) [سورة النحل، الآية ١١٨].
(٣) [سورة قريش، الآية ١ – ٤].

وفي سورة القصص عقب القرآن الكريم على أهل مكة بنعمتي الأمن والـرزق مرتبطتين بحرمة الأمن، فيقول ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يجعل لآله وذريته حرمًا آمنًا وأن يرزق أهلـه من الثمرات، فيقول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[3].

فالعلاقة بين الأمن والرزق وتوفير المناخ الملائم للاستثمار علاقة طردية، فمتى تحقق الأمن والأمان والاستقرار تبعه النمو والاستثمار والعمل والإنتاج واتساع أسباب الرزق، ومتى كانت الحروب، أو التطرف والإرهاب، والتخريب والتدمير، والفساد والإفساد، كان الشتات والفقر ومشقة العيش وصعوبة الحياة.

(١) [سورة القصص، الآية ٥٧].
(٢) [سورة الأنفال، الآية ٢٦].
(٣) [سورة البقرة، الآية ١٢٦].

هذا وقد ربط القرآن الكريم بين الأمن والإيمان وشكر النعم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾[1].

لهذا كله حرم الإسلام كل ما يهدد أمن الناس وحياتهم، فالمؤمن الحقيقي من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، يقول نبينا ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[2]، ويقول ﷺ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»[3]، ويقول ﷺ:

(١) [سورة سبأ، الآيات ١٥-١٨].
(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، حديث رقم ٢٦٢٧.
(٣) مسند أحمد: ج ١٩، ص ٣٧٦، حديث رقم ١٢٣٨٣.

«وَالله لَا يُؤْمِـــنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[1]، أي الذي لا يأمن جاره شره.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الأدب، بَابٌ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ، حديث ٦٠١٦.

حديث القرآن الكريم عن الحق

كلمة الحق كلمة واسعة الدلالة، ولها استعمالات كثيرة في كتاب الله ﷻ، فالله ﷻ هو الحق، يقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[3]، ويقول جل شأنه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[4]، فالله ﷻ هو الحق، وهو الذي يحق الحق بكلماته، فقد سمّى نفسه الحق، وأمرنا بالحق؛ تعظيمًا لشأنه؛ ودعوة إلى تحقيقه في سائر جوانب حياتنا.

(١) [سورة الحج، الآية ٦].
(٢) [سورة الحج، الآية٦٢].
(٣) [سورة الأنعام، الآية ٦٢].
(٤) [سورة المؤمنون، الآية ١١٦].

والقــرآن الكريم هو القصص الحق، يقول ســبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)، ويقول ســبحانه: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾(٢)، ويقول سبحانه: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾(٣)، عــلى رأي من فسر الحــق هنا بأنه القرآن الكريــم ومن فسر التواصي بالحــق بأنه التواصي بأوامر الله ﷻ في القرآن الكريم.

ويوم الحق هو يــوم القيامة ويوم الجــزاء، ويوم العدالة الإلهية، يقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥)، الّذي لا مجال فيه للشّكّ.

(١) [سورة آل عمران، الآية ٦٢].
(٢) [سورة الأنعام، الآية ٥].
(٣)[سورة العصر، الآية ٣].
(٤) [سورة النبأ، الآية ٣٩].
(٥) [سورة الواقعة، الآيات٩٢- ٩٦].

والحق هو الحقيقة الثابتة المطابقة للواقع يقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾[1]، وهو الصدق الذي لا ريب فيه يقول سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]، وهو البيان القاطع حيث يقول سبحانه: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾[3].

وفي المال حق معلوم ونصيب مفروض، يقول سبحانه: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[6]، فهو حق للفقير على الغني.

ومن أهم الحقوق التي حثنا القرآن الكريم على الوفاء بها حق الوالدين؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ

(١) [سورة يونس، الآية ١٠٨].
(٢) [سورة الأنعام، الآية ٧٣].
(٣) [سورة البقرة، الآية ٧١].
(٤) [سورة الذاريات، الآية ١٩].
(٥) [سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥].
(٦) [سورة الإسراء، الآية ٢٦].

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1]، فهو حق لهما ورد للجميل، فنحن نرد بعض الحق وليس كل الحق، لا يمكن أن يوفي إنسان حق والديه على الإطلاق، فقد أتى رجل إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ الله تعالى، فقال: «أحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قالَ: نعمْ، فقال: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ»[2]، ويقول أبو فراس الحمداني[3]:

أَيــا أُمَّ الأَســيرِ لِمَــن تُرَبّى ... وَقَد مُتِّ الذَوائِبَ وَالشُعورُ

إِذا اِبنُكِ ســارَ في بَرٍّ وَبَحرٍ ... فَمَــن يَدعو لَهُ أَو يَســتَجيرُ

(١) [سورة الإسراء، الآيتان ٢٣ ، ٢٤].

(٢) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ الجِهَادِ، بَابُ الرَّجُلِ يَغْزُو وَلَهُ أَبَوَانِ، حديث رقم ٢٧٨١.

(٣) قصيدة "أَيا أُمَّ الأَســيرِ سَــقاكِ غَيثٌ" من ديوان أبي فراس الحمداني، وهو الحارث بن أبي العلاء ســعيد بن حمدان بن الحارث العــدوي. قال عنه ابن شرف القــيرواني: فارس هذا الميدان، إن شــئت ضربًا وطعنًا، وإن شئت لفظًا ومعنًى. ص ٢٣٤ ط: دار الكتاب العربي – بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

بِـأَيِّ دُعـاءِ داعِيَـةٍ أُوَقّى بِـأَيِّ ضِيـاءِ وَجهٍ أَستَنيرُ
بِمَن يُستَدفَعُ القَدرَ المُوَقّى بِمَن يُستَفتَحُ الأَمرُ العَسيرُ

إنه حق الوالدين، فعلى كل منا أن يتفانى في خدمتهما بخاصة عند الكبر وليقل: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[1].

وكان نبينا ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يقول: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْـدُ، أَنْتَ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّـاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْـلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْـتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

(١) [سورة الإسراء، الآية ٢٤].
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث رقم ٧٦٩.

كل ذلك يجعلنـــا إنما نحرص على الحـــق، وأخذ الحق، وإعطاء الحق، وإخراج حق المال مـــن الزكاة والصدقات، والوفاء بحق الوالدين، وحق الأبناء، وحق الجوار، وسائر الحقوق والواجبات؛ استعدادًا ليوم الحق، يوم لقاء الحق.

* * *

حديث القرآن الكريم عن الصدق

إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها دعت إلى القيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة التي تقرب الإنسان إلى ربه، وتسهم في بناء المجتمعات الراقية، ومنها: خلق الصدق الذي جاء في القرآن الكريم في مواضع التشريف، والتكريم، والإجلال، ولا أدل على ذلك من أن الله ﷻ وصف به نفسه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[5].

(١) [سورة آل عمران، الآية ٩٥].
(٢) [سورة النساء، الآية ١٢٢].
(٣) [سورة النساء، الآية ٨٧].
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٥٢].
(٥) [سورة الأحزاب، الآية ٢٢].

وقد بين القرآن الكريم أن الصدق من صفات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فهم المبلِّغون عن الله ﷻ رسالاته؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ...﴾[4].

وقد وصف الله تعالى نبينا ﷺ في القرآن بالصدق؛ فقد جاء به، ودعا إليه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[6]، وقد كان صدقه ﷺ سجية عُرف بها حتى قبل بعثته، ولذلك كان يلقب بالصادق الأمين، وقد جعل ﷺ الصدق منهج حياة.

(١) [سورة مريم، الآية ٤١].
(٢) [سورة مريم، الآية ٥٤].
(٣) [سورة مريم، الآية ٥٦].
(٤) [سورة يوسف، الآية ٤٦].
(٥) [سورة الزمر، الآية ٣٣].
(٦) [سورة الصافات، الآية ٣٧].

كما جعل القرآن الكريم الصـــدق من صفات المؤمنين؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، ويقول ســبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[2]، ويقــول سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3]،

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٣٥].
(٢) [سورة الحشر، الآية ٨].
(٣) [سورة الأحزاب، الآيتان ٢٣، ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

إن الصدق خير كله؛ حيث يقول سبحانه: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»[3]، والصدق أحد أهم ركائز الإيمان، حتى إن بعض العلماء قد ربطوا بين الإيمان والصدق، فقالوا: الإيمان أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك؛ ليقينك أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما أن الكذب أبرز صفات المنافقين؛ حيث يقول ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[4].

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٥].
(٢) [سورة محمد، الآية ٢١].
(٣) مسند أحمد: ج ١١، ص ٢٣٣، حديث رقم ٦٦٥٢.
(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإيمان، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حديث ٣٣. وصحيح مسلم، كِتَابُ الإيمان، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم ١٠٧.

لقد جاء الصدق في القرآن الكريم شاملًا لكل أعمال البر والخير؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

وقد وعَد الله تعالى الصادقين بأعظم الجزاء، وأفضل الثواب؛ حيث يقول سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، وجعَل الحق ﷻ مرتبة الصِّديقين بعد مرتبة النبيين، وجعلهم في صحبة الشهداء والصالحين في الجنة، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم

(١) [سورة البقرة، الآية ١٧٧].
(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٩].

مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «الصِّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرَّ، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ...»[2].

وتحدث القرآن الكريم عن وعد الصدق الذي لا وعد مثله في قول الحق سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[3]، وكما تحدث القرآن الكريم عن وعد الصدق تحدث عن مخرج الصدق، ومدخل الصدق، ومبوأ الصدق، ومقعد الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، فأما مخرج الصدق فهو كل مخرج خرجته لله ﷻ من بيتك أو غيره إلى أي مكان، فإن كان خروجًا إلى الخير فهو مخرج صدق، وإن كان إلى شر فهو مخرج الكذب، فمن خرج لطاعة

(١) [سورة النساء، الآية ٦٩].
(٢) مسند أحمد: ج ١١، ص ٢١٦، حديث رقم ٦٦٤١.
(٣) [سورة الأحقاف، الآية ١٦].

أو مساعدة فقير أو إغاثة ملهوف فهو خروج خير ومخرج صدق، وأما من خرج لأذى أو إفساد فهو خروج شر ومخرج كذب، وكذا الحال في الدخول أيضًا.

وأما مبوأ الصدق، فهو المنزلة الحسنة في الدنيا؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[1]، وأما مقعد الصدق فهو المنزلة العالية في الجنة؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2]، وأما لسان الصدق فهو الثناء الحسن بحق في الدنيا؛ حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[4].

(١) [سورة يونس، الآية ٩٣].
(٢) [سورة القمر، الآيتان ٥٤، ٥٥].
(٣) [سورة الشعراء، الآية ٨٤].
(٤) [سورة مريم، الآيتان ٤٩، ٥٠].

وأما قدم الصدق فهو مَقْدمهُ، وهو كناية عن إكرام الله لهم يوم القيامة؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[1].

وقد وصى الحق سبحانه عباده المؤمنين بالصدق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا»[3].

الصدق محمود على كل حال، في الأقوال وفي الأفعال، وفي الهمم، يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ

(١) [سورة يونس، الآية٢].
(٢) [سورة التوبة، الآية ١١٩].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَابِ، بَابُ قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، حديث رقم ٢٦٠٧.
(٤) [سورة التوبة، الآية ١١٩].

فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»[2]، ويقول نبينا ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»[3].

ومن أبرز نماذج الصدق في الأقوال والأفعال والهمم ما كان من ذلك الرجل الذي جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فآمنَ بِهِ واتَّبعَهُ، ثمَّ قالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ؟ فَأَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ أَوْ حُنَيْنٍ غَنِمَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ وَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «إِنْ تَصْدُقِ الله يَصْدُقْكَ» فَلَبِثُوا قَلِيلًا،

(١) [سورة العنكبوت، الآية ٣].
(٢) [سورة الحجرات، الآية ١٥].
(٣) مسند أحمد: ج ١١، ص ٢٣٣، حديث رقم ٦٦٥٢.

ثُــمَّ دَحَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ يُحْمَلُ وَقَدْ أَصَابَهُ سَــهْمٌ حَيْثُ أَشَــارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ الله فَصَدَقَــهُ» فَكَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَكَانَ مِمَّا ظَهَــرَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ: «اللهمَّ هَــذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا فَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ»[1].

على أننا نؤكد أن الصدق كما يطلب على مستوى الأفراد يطلب على مستوى الدول، فالدول الصادقة هي التي تحترم وتفــي بعهودها ومواثيقها والتزاماتهــا الدولية، أما الدول الكاذبــة المخادعة فهي التي لا تفــي بعهود ولا وعود ولا اتفاقيات، وهذه الدول الكاذبة مآلها الخزي والسقوط وإن طال الأمد؛ لأن التاريخ يثبــت أن الدول التي لا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل ســقوطها في أســس بنائها وأصل قيامها.

* * *

(١) المســتدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ، ذِكْرُ شَــدَّادِ بْنِ الْهَادِ رَضِيَ الله عَنْهُ، حديث رقم ٦٥٢٧.

حديث القرآن
عن بُغاة الفتنة والمفسدين في الأرض

لقد أمر القرآن الكريم بكل خير وإصلاح، ونهى عن كل شر وإفساد؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1]، كما بيَّنَ سبحانه أنه لا يحب الفساد ولا المفسدين، يقول ﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]، ويقول نبينا ﷺ: «فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»[4].

(١) [سورة الأعراف، الآية ٥٦].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٠٥].
(٣) [سورة القصص، الآية ٧٧].
(٤) مسند أحمد: ج ٣٦، ص ٣٦٨، حديث رقم ٢٢٠٤٢.

وإنَّ المتأمل في القــرآن الكريم يجد أنه قد أولى الحديث عــن بُغاة الفتنــة، والمفســدين في الأرض عناية خاصة؛ وذلك لبيــان ضلالهــم، وإظهار خطرهم عــلى الأديان والأوطان، فقد أخبرنا ﷺ أن الأنبياء وأهل الفضل في كل زمان ومكان ينهون عن الفساد، ويحذرون من المفسدين، يقول تعــالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]، ويقــول ســبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقد بيَّن لنا الحق ســبحانه صفات المفســدين والبُغاة، ومنها: الكذب، والتدليس، وادِّعاء الصلاح، والإصلاح؛ حيــث يقــول تعــالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[3]،

(١) [سورة الأعراف، الآية ١٤٢].
(٢) [سورة هود، الآية ١١٦].
(٣) [سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤، ٢٠٥].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

ومنها: الإرجاف في الأوطان، ونشر الشائعات، وبث الفتنة والوهن بين الناس عن طريق وسائل الإعلام الموجهة، ووسائل الاتصال الحديثة، يقول ﷻ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[3]، ويقول الحق ﷻ في شأن المنافقين والمرجفين في الأرض: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ

(١) [سورة البقرة، الآيتان ١١، ١٢].
(٢) [سورة الكهف، الآيتان ١٠٣، ١٠٤].
(٣) [سورة الأحزاب، الآيتان ٦٠، ٦١].

لَهُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2].

ومنها: التواصل مع الأعداء والتحالف معهم على حساب الدين والوطن، والفرح إذا ألمَّ بأبناء الوطن شرّ، أو تفشَّى فيهم مرض، يقول تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّۖ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُۢنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ

(١) [سورة التوبة: الآية ٤٧].
(٢) [سورة الأحزاب، الآية ١٨].
(٣) [سورة المائدة، الآية ٥٢].
(٤) [سورة النساء، الآية ٧٢، ٧٣].

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

وذلك الفساد الظاهر والحقد البيِّن نابع من فساد القلوب؛ حيث يقول نبينا ﷺ: «..أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»[2].

إن مواجهة الفساد أحد أهم دعائم الحكم الرشيد؛ فالمفسدون، والبُغاة، والمعوِّقون لمسيرة الخير والإصلاح مِعول هدم للمجتمع، ولا بد من التصدي لهم بكل حزم وقوة، فهم شرار الخلق؛ حيث يقول نبينا ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ»[3].

وقد بيَّن القرآن الكريم جزاء بُغاة الفتنة والمفسدين في الدنيا، ومصيرهم في الآخرة؛ حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٢٠].
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإيمان، فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، حديث رقم ٥٢. وصحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم ١٥٩٩.
(٣) مسند أحمد: ج ٤٥، ص ٥٧٧، حديث رقم ٢٧٦٠٢.

جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2]، ولا يظنَّ باغٍ أو مفسد أنه إن نجا أو أفلت من حساب الناس فإنه سيفلتُ من حساب الخالق ﷻ.

أما المرجفون في الأرض مروجو الشائعات والأكاذيب بغية إسقاط الدول وإحداث هزة أو رجفة بها فجزاؤهم في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا﴾[3].

(١) [سورة المائدة، الآية ٣٣].
(٢) [سورة الرعد، الآية ٢٥].
(٣) [سورة الأحزاب، الآية ٦٠، ٦١].

وقد قال بعض المفسرين وأهل العلم في قوله تعالى: «أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا» هذا خبر فيه معنى الطلب، بما يعني أن خيانة الأوطان والإرجاف فيها قصد إسقاطها أو إفشالها أو التخابر لصالح أعدائها - وهو ما يعرف بالخيانة الوطنية الكبرى - هو القتل، على أن ذلك إنما يكون وفق ما ينظمه قانون الدول، وليس أمرًا مباحًا للأفراد أو الجماعات أو القبائل خارج إطار العدالة والقانون.

فالمفسدون جهرًا خوارج وبُغاة، والمفسدون سرًّا هم الجبناء المنافقون، والنفاق قائم على مخادعة المجتمع وبث الأراجيف بين أبنائه، والكذب وإشاعة الفتنة من أخص صفات المنافقين، والخونة والعملاء والطابور الخامس خطر داهم في ظهور أوطانهم، ومرض يجب استئصاله، وأخطر أنواع الخيانة هي الخيانة تحت غطاء الدين، أو المتاجرة بشعارات زائفة يعرفها الجميع، وكشف الخونة وتخليص المجتمع من شرهم واجب شرعي ووطني، ولا غنى عنه للحفاظ على أمن الدول وأمانها، فلم تسقط دولة عبر التاريخ إلا كانت خيانة بعض أبنائها أحد أهم عوامل سقوطها، وجواسيس اليوم ليسوا كجواسيس الأمس، لهم

مسوح الثعالب وجلود الثعابين، وتحصين الدول يتطلب تخليصها من شرهم.

كما أن من أهم صفات المنافقين الخونة والعملاء محاولة تعطيل مسيرة الاقتصاد وإفشال الدولة اقتصاديًّا، فصفات المنافقين والبُغاة والمفسدين وجزاؤهم في القرآن الكريم؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَۖ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ

(١) [سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤، ٢٠٥].
(٢) [سورة التوبة: الآية ٤٧].
(٣) [سورة المنافقون، الآية ٧].

وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[1]، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

* * *

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٢٠].
(٢) [سورة المائدة، الآية ٣٣].

حديث القرآن
عن الزروع والثمار

كانت الزراعة ولا تزال أحد أهم الأعمدة التي تبنى عليها الحضارات، وحديث القرآن الكريم عن الزروع والثمار حديث عظيم، ينبئ عن اهتمامه بالزراعة والفلاحة وما يخرج من ثمرات الأرض، وبيان أنها نعمة من أعظم نعم الله ﷻ على عباده، حتى إن القرآن الكريم أطلق على ما تنبته الأرض من أعناب ونخيل وزروع وثمار جملة (جنة) أو (جنات) في مواضع عديدة، فهي جنة الدنيا أو جناتها، يقول الحق سبحانه في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا

كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾[1]، فعبر النص القرآني عما أفاء الله ﷻ به عليهم بلفظ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ إحداهما عن يمين السائر، والأخرى عن شماله، وبين أن النعم تدوم بالشكر والحفاظ عليها والعناية بها ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ﴾[2]، فلما أعرضوا كان ذلك إيذانًا بإهلاك ما هم فيه من النعيم، وبُدِّلوا بالزروع والثمار اليانعة الأثل والشوك وشيء من سدر قليل، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[3]، ويقول نبينا ﷺ: «يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللهِ ﷻ فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ»[4].

ويقول ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ

(١) [سورة سبأ، الآيات ١٥ – ١٧].
(٢) [سورة سبأ، الآية ١٥].
(٣) [سورة إبراهيم، الآية ٧].
(٤) شعب الإيمان للبيهقي، السادس والعشرين من شعب الإيمان "الجهاد"، حديث رقم ٤٢٣٦.

أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[2]، فقد عدَّ الحق ﷻ اخضرار الأرض نعمة من عظيم نعمه تقتضي المحافظة عليها، كما لفت أنظارنا إلى ضرورة التأمل في خلقه؛ حيث المتجاور من الزرع في التربة الواحدة والمشترك معه في السقي، ترى هذا حلوًا وهذا حامضًا، والتربة واحدة، والماء واحد، والمذاق شيء آخر، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل.

وفي مجال تعداد نعمه ﷻ على خلقه يقول سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن

(١) [سورة الأنعام، الآية ٩٩].
(٢) [سورة الرعد، الآية ٤].

طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[2]، فالماء نعمة تستحق الشكر، وإنبات الزرع والنخيل والثمار نعمة أخرى تستحق شكرًا آخرَ.

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية الزراعة والفلاحة والحرص على عمارة الكون، فبالزراعة يحيا الإنسان والحيوان؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝٣١ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[3].

* * *

(١) [سورة المؤمنون، الآيات ١٨ - ٢٠].
(٢) [سورة ق، الآيتان ٩ - ١٠].
(٣) [سورة النازعات، الآيات ٣٠ - ٣٣].

حقيقة الدنيـــا

تحدث العلماء والأدباء والحكماء والشـــعراء عن الدنيا حديـــث عارف بهـــا، خبـــير بطبيعتها، فقـــال بعضهم: من طلـــب الراحة في الدنيا- أي الراحـــة التامة الكاملة الدائمة - طلب ما لم يخلق، ومات ولم يرزق؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[1]، ويقول أبو البقاء الرندي[2]:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأيامُ كما شاهدتها دُولٌ مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ

(١) [سورة البلد، الآية ٤].

(٢) أبو البقاء الرّندي هو صالح بن أبي الحســن يزيد بن صالح بن شريف يكنى كنية مشـــهورة بأبي البقاء، كان مســـقط رأســـه رنده إلى الغرب من مالقة، على قمة جبل ســـامق يشقها نهر وينابيـــع وتحفّها وديان، يقول المراكشي إنه «كان خاتمـــة الأدباء بالأندلس بارع التصرف في منظـــوم الكلام ومنثوره» وكانت وفاة أبي البقاء الرندي ســـنة ٦٨٤ للهجرة. تاريخ الأدب العـــربي للدكتور شـــوقي ضيـــف. ج ٨، ص ٣٩١، ط: دار المعارف، مـــصر، ط: الأولى، ١٩٦٠- ١٩٩٥م

ويقول البارودي[1]:

إذا أحسَنت يومًا أساءت ضُحى غدٍ فَإِحْسَانُهَا سيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ
تربُّ الفتى حتَّى إذا تَمَّ أمرهُ دَهَتْهُ كَما رَب الْبَهِيمَةَ جَازِرُ

ويقول خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في إحدى خطبه: أَيهَا النَّاس، إِنَّكُم لم تُخلقوا عَبَثا، وَلم تتركوا سدى، وَإِنَّ لكم معادًا ينزل الله تبَارك وَتَعَالَى للْحكم فِيهِ والفصل بَيْنكُم، فخاب وخسر من خرج من رَحْمَة الله الَّتِي وسعت كل شَيْء، وَحُرم الْجنَّة الَّتِي عرضهَا السَّمَوَات وَالْأَرْض، أَلا ترَوْنَ أَنكُمْ فِي أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الْبَاقُونَ حَتَّى ترد إِلَى خير الْوَارِثين، فِي كل يَوْم تشيعون غاديًا إِلَى الله ورائحًا قد قضى نحبه وانقضى أَجله، ثمَّ تغيبونه فِي صدع من الأَرْض غير موسد وَلَا ممهد قد

(١) محمود سامي البارودي، من أسرة جركسية ذات جاهٍ ونسبٍ قديم، وتنتمي إلى حكام مصر المماليك، كان مولده عام ١٨٣٠م، وتيتَّمَ محمود البارودي صغيرًا، وهو في السابعة من عمره، وتقلب البارودي في مناصب الدولة، وكان ذا حظوةٍ لدى إسماعيل باشا، فاتخذه كاتم سره، وسافر في رحلتين سياسيتين إلى الآستانة في مهمةٍ خاصَّةٍ، ومكث اثنتي عشرة سنة بجوار الخديوي إسماعيل، وهو إمام الشعراء المحدثين قاطبة، وباكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث، وكان أول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين؛ فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود. انظر كتاب «في الأدب الحديث» لعمر الدسوقي، ط: دار الفكر العربي، الطبعة: ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م بتصرف.

فَارق الأحباب، وخلع الأسلاب، وواجه الْحساب، وَسكن التُّرَاب مرتهنا بِعَمَلِهِ، غَنِيًّا عَمَّا ترك فَقِيرًا إِلَى مَا قدم[1].

ويقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا، يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به، الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ آلمعاينة؟ فكأن قد، هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة! أما أنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبيّ بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم. أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم[2].

ويقول عبد الحميد الكاتب: «فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، وجعل فيها أقسامًا مختلفة بين أهلها، فمن

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه لعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: ٢١٤هـ) المحقق: أحمد عبيد. ط: عالم الكتب - بيروت - لبنان الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٣٤ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ كتاب الزهد، ج٣، ص ٩٠.

درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها، سكن إليها، ورضي بها، وأقام عليها، ومن قرصته بأظفارها، وعضته بأنيابها. وتوطأته بثقلها، قلاها نافرًا عنها، وذمها ساخطًا عليها، وشكاها مستزيدًا منها، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها، وأرضعتنا من درها أفاويق استحلیناها، ثم شمست منا نافرة، وأعرضت عنا متنكرة، ورمحتنا مُولية، فملح عذبها، وأمر حلوها، وخشن لينها، فمزقتنا عن الأوطان، وقطعتنا عن الإخوان، فدارنا نازحة، وطيرنا بارحة»[1].

ويقول رب العزة ﷻ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]،

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، لعبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد ابن محمد المجذوب (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، باب أثر القرآن على البلغاء، ج ٣، ص ٢٥، ط: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

(٢) [سورة يونس، الآية ٢٤].

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[1]، فعش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، ومن لم يتعظ بتخطف الموت من حوله فلا واعظ له.

مع تأكيدنا أن معرفة حقيقة الدنيا لا تعني اعتزالها، ولا ترك الأخذ بالأسباب والتقاعس عن عمارة الكون وصناعة الحياة، غير أن بعض الناس قد يفهمون الزهد على غير وجهه الحقيقي؛ حيث يرتبط الزهد في أذهان بعضهم بجوانب شكلية لا علاقة لها بحقيقته، فيتوهمون خطأً أن الزهد رديف الفقر أو حتى الفقر المدقع، فالزاهد - في تصور البعض - شخص بالضرورة قليل المال، وربما قليل الحيلة، وربما رث الثياب أو مخرقها، صوته لا يكاد يبين، ويده لا تكاد تلامس مصافحها، ثم تطور الأمر إلى سلبية أشد بهجر العمل، وربما ترك الدراسة العلمية أو عدم الاكتراث بها، والخروج من الدنيا بالكلية إلى عالم أقرب ما يكون إلى الخيالات الخاطئة منه إلى دنيا الواقع، في تعطيل

(١) [سورة فاطر، الآية ٥].

مقيت وغريب وعجيب وشـــاذ للأسباب، مع أن ذلك كله شيء والزهد شيء آخر.

وقــد قال أهل العلــم: ليس الزاهد مــن لا مال عنده، إنما الزاهد من لم تشــغل الدنيا قلبــه ولو ملك مثل ما ملك قارون، وســئل الإمام أحمد بن حنبل[1] رحمه الله: أيكون الرجل زاهــدًا وعنده ألف دينار؟ قال: نعــم، إذا كان لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت، ولذا كان من دعاء الصالحين: اللهم اجعل الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا.

فالزهد الصحيــح ليس قرينًا للفقر، بــل قد يكون قرين الغنى، ليملك الإنسان ثم يزهد، فهو زهد الغني، وليس زهد المعدم، كما أن الزهد لا يتنافى مع الأخذ بالأســباب، فالأخذ بالأسباب شيء والزهد شيء آخر، يتكاملان ولا يتناقضان.

* * *

(١) هو أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ أَبُو عَبْدِ الله الشَّــيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، قال عنه الذهبي: هُوَ: الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ صِدْقًا، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ، وقال أحمد: نَحْنُ كَتَبْنَا الحَدِيْثَ مِنْ سِتَّةِ وُجُوْهٍ وَسَــبْعَةٍ لَمْ نَضبِطْهُ، فَكَيْفَ يَضبِطُه مَنْ كتبه مِن وَجْهٍ وَاحِدٍ؟! قَالَ عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُــو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَــظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ. فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيــكَ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ. انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧، رقم ٧٨. ط: مؤسسة الرسالة "بتصرف".

حـرمة المـال العـام

حفظ المال أحـد الكليات السـت والمقاصـد الكلية السـامية التي أحاطهـا ديننـا الحنيف بالعنايـة والحفظ والرعايـة والصيانـة؛ حيـث يحـذر الحق ﷻ مـن أكل أموال النـاس بالباطل، فيقـول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَـوْمَ القِيَامَةِ»[2]، ويقول ﷺ: «يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ

(١) [سورة النساء، الآيتان ٢٩-٣٠].

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤١]، حديث رقم ٣١١٨.

النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1]، ويقول ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»[2].

ولحفظ المال شُرع حد السرقة، وشرع الضمان، والكفالة، والوكالة، والحجر لحق المال، كما تضمن حد الحرابة حفظ المال أيضًا، ونبهنا الشرع الحنيف إلى كتابة الدين، والوفاء به، وبالأمانات؛ حيث يقول ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ»[3]، ويقول ﷺ: «لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»[4].

وعاقبة الحرام وخيمة في الدنيا والآخرة، فقد ذكر نبينا ﷺ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ،

(١) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ السفر، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الصَّلاَةِ، حديث رقم ٦١٤.
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الإيمان، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ، حديث رقم ٢١٨.
(٣) صحيح البخاري، كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلَافَهَا، حديث رقم ٢٣٨٧.
(٤) مسند أحمد: ج ١٩، ص ٣٧٦، حديث رقم ١٢٣٨٣.

يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[1].

والمال الحرام يشمل كل ما تتحقق بطريق غير مشروع كالغش: نوعًا أو كمًّا، كيلًا أو ميزانًا، أو مقياسًا، وأشد أنواع الغش حرمة وخطرًا على المجتمعات ما يتعلق بحياة الناس وأقواتهم وغذائهم وعلاجهم، فمن غش في شيء من ذلك وهو يعلم أن غشه فيه مؤد للقتل فهو قاتل عمدًا، وإن كان يدرك أنه مضرٌ بصحة الناس وغير صالح للاستهلاك الآدمي فأدى إلى القتل، فهو قاتل قتلًا شبه عمد.

ومن أشد صور الحرام ما يتحقق بطريق الرشوة أو الاختلاس أو أكل حقوق الآخرين من عامل أو أجير أو غيرهما؛ حيث يقول نبينا ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة ﷻ: «قَالَ الله: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»[2]، وعَنْ

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم ١٠١٥.
(٢) صحيح البخاري، كِتَاب البيوع، بَابُ إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا، حديث رقم ٢٢٢٧.

ثَوْبَانَ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ» يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا[1].

مع تأكيدنا أن ضياع المال إهمالًا كضياعه إفسادًا، فكلاهما ضياع على كل حال، فكلٌّ من قــصّر في حماية المال العام أو تسبب في إتلافه أو إفساده أو ضياعه فهو آثم شرعًا.

وختامًا نؤكد أن الاعتداء على المال العام أشد إثمًا وجرمًا وخطرًا من المال الخاص لكثرة الأنفس والذمم المتعلقة به، فالأمانة فيه أشد، والمسئولية فيه أعظم.

* * *

(١) مسند أحمد: ج ٣٧، ص ٨٥، حديث رقم ٢٢٣٩٩.

أسباب رفع البلاء

لرفع البلاء أسباب من أهمها:

تصحيح الفهم الخاطئ لمعنى التوكل، فبعض الناس يضعون التوكل في غير موضعه، فعندما تحثه على الأخذ بالأسباب الوقائية يقول لك: يا أخي، توكل على الله، نعم، علينا أن نتوكل على الله ﷻ لكن شريطة أن نفهم حقيقة التوكل، ونحسن تطبيقه، فعندما سأل أعرابي سيدنا رسول الله ﷺ عن ناقته: أعقِلُها وأتوَكَّلُ أو أطلِقُها وأتوَكَّلُ ؟ فقالَ ﷺ: «اعقِلها وتوَكَّلْ»[1].

ولقد عاب سيدنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه على جماعة من الناس، كانوا يحجون بلا زاد فذمهم؛ فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، لَقِيَ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: مَنْ

(١) سُنن الترمذي، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، بعد تسعة وثلاثين بابًا منه، حديث رقم ٢٥١٧.

أَنْتُــمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ: بَــلْ أَنْتُمُ الْمُتَّكِلُونَ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ»[1].

الخروج من حَوْلِنا وقوتنا إلى حَوْل الله ﷻ وقوته، وإدراك أن الأمــر كله أولًا وآخــرًا لله ﷻ، فهو القــادر على إجراء المســببات على أســبابها أو عدم إجرائها، فمن خاصية النار أن تحــرق، لكنها لم تحرق ســيدنا إبراهيم عليه السلام، ومن خاصية الســكين أن تذبح، ولكنها لم تذبح ســيدنا إســماعيل عليه السلام، ومن خاصيــة الحوت أن يهضــم ما يبتلعــه، لكنه لم يهضم ســيدنا يونس عليه السلام، فمهما بلغ علمنا ينبغي ألا نغفل عن قدرة خالقنا، وهو القائل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

لزوم الطاعة والاســتغفار؛ حيث يقول الحق ســبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ

(١) التــوكل على الله، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن ســفيان بن قيس البغدادي الأموي القــرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) تحقيــق: مصطفى عبد القادر عطا. ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م. ص ٥٠.
(٢) [سورة يونس، الآية ٢٤].

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴾[3]، ويقول ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[4].

التضرع إلى الله ﷻ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾[5]، ولنا في نبي الله أيوب عليه السلام أسوة حسنة؛ حيث يقول الحق ﷻ في كتابه الكريم على لسانه عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[6].

---

(١) [سورة الأعراف، الآية ٩٦].
(٢) [سورة الجن، الآية ١٦].
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٥٨].
(٤) سُنن ابن ماجه، أَبْوَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم ٣٨١٩.
(٥) [سورة الأنعام، الآية ٤٣].
(٦) [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٣-٨٤].

الأخذ بالأسباب، فنجمع بين الدعاء والدواء، ويكون الدعاء وسيلتنا في التضرع إلى الله ﷻ أن يعمل خاصية الدواء في إزالة الداء، فهو سبحانه القادر على ذلك دون سواه، فالطبيب سبب والشافي هو من أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون؛ حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

* * *

(١) [سورة يس، الآية ٨٢].

إطعام الطعام

الإسلام دين الإنسانية، دين الرقي، دين التراحم، دين التكافل؛ حيث جعل من قضاء الحوائج الأساسية للإنسان منهجًا ثابتًا، وفي مقدمتها أساسيات ومقومات الحياة التي يُعدُّ إطعام الطعام في القلب منها، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَام، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1].

فقد ذكر نبينا ﷺ في الحديث أربعة أسباب لدخول الجنة: ثلاثة منها تتعلق بالجوانب الإنسانية، وهي: إفشاء السلام،

(١) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، بعد ستة وعشرين بابًا منه، حديث رقم ٢٤٨٥، وسُنن ابن ماجه، أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، حديث رقم ٣٢٥١.

وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وواحدة منها تتعلق بعلاقة العبد بخالقه، وهي الصلاة بالليل والناس نيام.

ويقول الحق ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[3].

(١) [سورة البقرة، الآية ١٧٧].
(٢) [سورة الإنسان، الآيتان ٨، ٩].
(٣) [سورة البلد، الآيات ١١- ١٦].

وليس المقصود بإطعام الطعام حصر الأمر في عين الطعام، وإنما الأمر أوسع من ذلك بما يشمل الإطعام المباشر والإطعام غير المباشر، سواء بإعطاء الفقير مما يقوم بطبخه، وطهيه بمعرفته، أم بإعطائه النقد؛ ليشتري ما يحتاج إليه أو تشتهيه نفسه من الطعام، إنما يشمل ذلك كل ما تعنيه كلمة الطعام من معان، سواء أكان إطعامًا مباشرًا في صورة وجبات مجهزة تقدم أو تعطى للفقراء والمحتاجين أو تهدى للأصدقاء والجيران والمقربين، أم في صورة عينية سلعًا أو نقدًا، والنقد أنفع للفقير وأستر له، وأوسع لخياراته وقضاء حوائجه.

ذلك مع عظم الثواب المترتب على الإنفاق في سبيل الله؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٦٥].

عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2].

* * *

(١) [سورة سبأ، الآية ٣٩].

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب الزكاة، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل، الآيات ٦- ١٠]، حديث ١٤٤٣. وصحيح مسلم، كِتَابُ الزكاة، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، حديث رقم ١٠١٠.

عمارة المساجد

تعظيم لشعائر الله

يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[2].

فللمساجد مكانتها وحرمتها وقدسيتها، يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3]، فهي بيوته التي ينبغي تعظيم حرمتها؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[4].

(١) [سورة التوبة، الآية ١٨].
(٢) [سورة النور، الآية ٣٦].
(٣) [سورة الجن، الآية ١٨].
(٤) [سورة الحج، الآية ٣٠].

ولا شـــك أن الحفاظ على نظافة المساجد أو الإسهام في نظافتها، وحرص العاملين بها عـــلى نظافتها الدائمة وبذل أقصى ما في وســـعهم لذلك، هو من بـــاب تعظيم حرمات الله، وتعظيم شـــعائره، يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

فخدمـــة بيـــوت الله ﷻ شرف، وإذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك، فجدد النية وشـــمر عن ســـاعد الجد في خدمة بيوت الله ﷻ، وحول الوظيفة إلى رسالة، لا تدخر في ذلك جهدًا ولا وسعًا، وإذا كان الأجر عـــلى خدمة بيوت الله ﷻ أجرًا عظيمًا تحفُّهُ البركة في الدنيا والرحمـــة في الآخرة، فإن التقصير في المهام الواجب القيام بها وخيم العاقبة عـــلى المقصرين في ذلك من المكلفين به، ومن ثمة وجب التفاني في العمل مِن كلِّ مَن شرفه الله ﷻ بخدمة بيوته.

ومن تمام الحفاظ على نظافة المســـاجد أن نأتيها في أحسن وأكمل وأتم وُجُوه النظافة والطهارة والبهاء والنقاء ظاهرًا

(١) [سورة الحج، الآية ٣٢].

وباطنًا؛ استجابة لقول الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1].

وقد أثنى رب العزة في كتابه العزيز على المتطهرين من عمار بيوته وغيرهم؛ فقال ﷻ مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]، ويقول سبحانه مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾[4]، ويقول نبينا ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»[5].

ولم يُعن الإسلام بمجرد النظافة بل حث على الكمال فيها، فعد نبينا ﷺ إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا، فقال ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى

(١) [سورة الأعراف، الآية ٣١].
(٢) [سورة التوبة، الآية ١٠٨].
(٣) [سورة البقرة، الآية ٢٢٢].
(٤) [سورة المدثر، الآيات ١-٤].
(٥) صحيح مسلم، كِتَابُ الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم ٢٢٣.

مَا يَمْحُــو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُــولَ الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1]، كما حثنا ﷺ على الاغتسال في مواطن عديدة، وبخاصة عند الجمع والجماعات، كغسل الجمعة وغسل العيدين وغيرهما، تأكيدًا على نظافة الجسد وطهارته طهارة تامة.

وعني ديننا الحنيف بتكريم من يقومون بخدمة المجتمع ولا سيما في مجال النظافة، فقد كانت امرأة تَقُمُّ الْمسجد - أي تنظفه - ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت، فقال ﷺ: «أَفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي»[2]، فدلُّوه على قبرها فصلى عليها النبــي ﷺ إكرامًا لخدمتها لبيــت الله ﷻ وحرصها الشديد على تنظيفه.

* * *

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الطهارة، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، حديث رقم ٤١.
(٢) متفــق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب الصَلاة، بَابُ كَنْسِ الْمَسْــجِدِ وَالتِقَاطِ الخِرَقِ وَالقَذَى وَالعِيدَانِ، حديث رقم ٤٥٨. صحيح مسلم، كِتَابُ الجنائز، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ، حديث رقم ٩٥٦.

زواج القاصرات ظلم لهن وللمجتمع

إن الشرع الحنيف قائم على مراعاة مصالح البلاد والعباد، فحيث تكون المصلحة المعتبرة فثمة شرع الله.

وإذا كان العرف ضابطًا معتبرًا لدى الفقهاء فإن العرف لا يقصد به العرف الخاص لكل قبيلة أو عزبة أو قرية أو نجع أو تجمع على حِدة، إنما هو العرف العام الذي تعارف عليه القوم وإن لم يسنوه قانونًا، فما بالكم إذا تعارف عليه القوم وسنوه قانونًا أو أقرته مجالسهم النيابية في ضوء الدستور الذي اصطلحوا عليه وارتضوه لتسيير شئون حياتهم وتنظيم حركتها، ناهيك عما قرره الشرع من حق الحاكم في تقييد المباح للمصلحة المعتبرة بما لا يتعارض مع نص صريح قطعي الثبوت والدلالة.

والقضية التي نحن بصددها واحدة من القضايا الحياتية التي لم يرد في بيان تحديد سن الزواج فيها نص قاطع، لا من صريح القرآن ولا من صحيح السُّنَّة، فصار فيها متسع

للاجتهاد والــرأي والرأي الآخر وفق ما تقتضيه المصلحة، عــلى أن فقــه الموازنات وحســابات المصالح والمفاســد، وترجيح ما يجب ترجيحه منها يتطلب منا نظرات متأنية لا نظرة واحدة قبل أن نصدر أية فتاوى في هذا الشأن، بل أرى أن أمر الفتاوى في مثل هــذه القضايا يحتاج اجتهادًا جماعيًّا للمؤسسات المعتبرة لا اجتهاد الأشخاص أو الأفراد، ولا سيما إذا كان بعض هؤلاء الأشخاص أو الأفراد بمعزل عن اســتيعاب قضايا العصر ومستجداته، فما بالك إذا كانوا أو كان بعضهم بمعــزل عن قواعد الإفتــاء وأصوله أصلًا؟ بــل فما بالكــم إن كان من يفتي في الشــأن العــام من غير المتخصصين أو حتى من غير الدارســين للأصول الشرعية على وجهها المطلوب إن لم يكن من غير الدارسين لها أصلًا.

ولا شــك أن إصــدار مثل هذه الفتاوى لا يمكــن أن تســتند فقط إلى محصولنا مما قــرره بعض الفقهاء في عصور وظروف وبيئات تغــيرت طبيعتها تغييرًا كبــيرًا في زماننا ومكاننــا وبيئتنا، وأصبح من يتصــدر للإفتاء في مثل هذه الأمــور والقضايا المعاصرة في حاجة ملحــة إلى أن يلم إلى جانب أصول وقواعد فقه الأحــكام بفقه العصر والواقع ومســتجداته وتداعياتــه وتحدياتــه وظروفــه الاجتماعية

والاقتصادية والصحية؛ بما يتطلب ضرورة الاستئناس بآراء الخبراء المختصين من الأطباء وعلماء النفس والاجتماع، بل إننا قد نكون بحاجة ماسة لنظرة أوسع نحو ما يدور حولنا في مختلف دول العالم والتزامات الدول وتعهداتها في ضوء ما وقعت عليه من مواثيق دولية؛ لأن الاستطاعة كما ينظر فيها إلى حال الأفراد ينبغي أن ينظر فيها أيضًا إلى أحوال وقدرات الدول.

وإذا كان الفقهاء قد تحدثوا عن الباءة وهي القدرة على الوفاء بحق الزواج فإن الأمر بلا شك لا يمكن أن يحصر أو يقصر في القدرة والطاقة الجنسية، إنما هو القدرة العامة على قيادة سفينة الحياة الزوجية بما تقتضيه وتتطلبه من تبعات اقتصادية ومسئوليات اجتماعية نظلم أبناءنا وبناتنا ظلمًا كبيرًا إن حملناهم إياها دون احتمالهم لها أو قدرتهم على هذا الاحتمال أو حتى مجرد إدراكهم لما يقتضيه واجب كل من الزوجين تجاه الآخر من حقوق وواجبات ومسئوليات، وما لم نهيئ لهم ما يغلب على الظن معه على أقل تقدير نجاح هذا الارتباط، وإلا فما سر حالات الطلاق المرتفعة بين الشباب المتزوجين حديثًا إن لم يكن عدم تأهيلهم وتهيئتهم بالقدر الكافي وإدراك كل منهم لما تتطلبه وتقتضيه حقوق

بناء الأسرة السوية كأساس لبناء مجتمع سوي متماسك قادر على صنع الحضارة واقتحام عباب الحياة الصعبة.

ولا شك أن الزواج مسئولية كبيرة، وميثاق غليظ، شرعه الإسلام ليسكن كل من الزوجين إلى بعضهما البعض في مودة ورحمة؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، فلا بد من التأكد من أن كلاً من الرجل والمرأة في سن قادر على تحمل أعباء وتبعات هذه العلاقة الزوجية سواء في مسئولية كل منهما تجاه الآخر أم في تحملهما معًا واجبهما تجاه ما قد يرزقان به من الولد.

والذي لا شك فيه أن زواج القاصرات ظلم لهن، ولما قد ينتج عن هذا الزواج من أبناء، وظلم للمجتمع بما يترتب على هذا الزواج من آثار وتبعات اجتماعية، فضلًا عما يترتب على زواج القاصر من آثار نفسية وصحية على الفتاة.

* * *

(١) [سورة الروم، الآية ٢١].

أبجديات الحوار

يقول الحق سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

الحوار على زنة فِعال، والمحاورة على زنة مُفاعلة، يقتضيان المشاركة، ولا يقعان من طرف واحد، يقال: تحاور محمد وعلي، أو توافقا، أو تشاركا، أو تطاوعا، أي حاور، أو وافق،

(١) [سورة النحل، الآية ١٢٥].
(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٦].
(٣) [سورة آل عمران، الآية ٦٤].

أو شارك، أو طاوع كل منهما صاحبه، ولا يُتصوَّر أن يحاور الإنسان نفسه.

وعليه فالحوار يقتضي أن تُعامل الآخر بما تحب أن يُعاملك به، وأن تنصت إليه قدر ما تحب أن ينصت إليك، وأن تأخذ إليه الخطوات التي تنتظر منه أن يخطوها نحوك، وإلا فحاور نفسك، واسمع صوت نفسك، ولا تنتظر أن يسمع الآخرون صوتك.

الحوار الناجح هو القائم على الحق، المبني على الصدق، لا على الكذب، ولا التزييف، ولا السفسطة، ولا المغالطة، ولا مجرد المغالبة لذات المغالبة.

فالحوار لا يعني الشقاق، ولا يمت للعصبية العمياء بصلة، ولا يجعل من المتغيرات ثوابت، ولا يقدس غير المقدس، ولا يرمي الناس بالإفك والبهتان، ولا يخرج عن الموضوعية إلى غيرها قصد إحراج المحاوَر، أو إسكات صوته بالباطل، كأن يحاور شخص شخصًا آخرَ في قضية فكرية فإذا هو يتحول إلى هجوم شخصي عليه، أو على أسرته، أو قبيلته، أو حزبه، أو دولته، عجزًا منه عن مقارعة

الحجة بالحجة، وهروبًا من الموضوعية التي لا قِبَل له بها إلى السباب والفحش الذي قد لا يجيد غيرهما.

كل ذلك شيء والحوار شيء آخر، ألم يقل الحق ﷻ لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1]، فأمرهما الحق ﷻ أن يقابلا طغيان فرعون بالحكمة والموعظة الحسنة، والقول اللين الحسن، وألا يقابلا طغيان جبروته بمثل فعله أو لغته.

وانظر إلى أدب أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام في محاورته لأبيه؛ حيث يقول أبوه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[2]، فيجيبه سيدنا إبراهيم عليه السلام في غاية البر والأدب: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[3]، وفي الحوار الذي دار بينه وبين نمرود بن كنعان كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ

(١) [سورة طه، الآيتان ٤٣-٤٤].
(٢) [سورة مريم، الآية ٤٦].
(٣) [سورة مريم، الآية ٤٧].

﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾[1]، وهنا لم يرد عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنفي المباشر، إنما انتقل إلى أمر آخر قائلاً: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ وكأنه يقول له: إن كنت تحيي وتميت حقًا كما تقول فأت بالشمس من المغرب بدل المشرق، فبهت الذي كفر.

وهذا نبي الله سيدنا عيسى عليه السلام ينتقي ألفاظه انتقاءً فيقول: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾[2] ولم يقل: لم أقله، تأدبًا مع ربه عز وجل.

ومن أبجديات الحوار حسن الاستماع للآخر، وعدم مقاطعته، أو إبداء عدم الرغبة في سماعه، أو التأفف من كلامه، أو الإشاحة في وجهه، وإظهار التبرم منه غمزًا، أو لمزًا، أو سخرية، أو تهكمًا إشاريًّا، أو حتى تبسمًا ساخرًا ينم عن عدم تقدير المحاور، أو إظهار عدم الاقتناع بما يقول تهوينًا لشأنه، ناهيك عن ارتفاع الصوت واشتداد الصخب والجلبة، فضلًا عن سوء الأدب في الحوار.

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٥٨].
(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٦].

الحوار الهـادف ينأى بصاحبه عن كل أشـكال الجمود والاستعلاء، ويحمله على احترام الرأي الآخر وتقديره، على حد قول الإمام الشـافعي ﷺ: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

بل إننـا لنذهب أبعد مـن ذلك فنـرى أن كلا الرأيين قـد يكون على صـواب، غير أن أحدهمـا راجح، والآخر مرجـوح، فالأقوال الراجحة ليسـت معصومـة، كما أن الأقوال المرجوحة ليست مهدومة، طالما أن لصاحبها حظًّا من النظر والحجة والدليل المعتبر.

وإن أخطر ما يعوق الحوار أمران هما: الأدلجة، والنفعية؛ فأما الأدلجة فإن العالم أو الكاتب أو المحاور المؤدلج تحمله عصبيته العمياء للجماعة التي ينتمي إليها إما على عدم رؤية الحق، وإما على التعامي عنه، إذ يمكن لأحدهم أن يحاورك أو يجادلك أو يقبل نقاشـك في مفهوم آية من كتاب الله ﷻ أو حديث صحيح من سُـنَّة سـيدنا رسـول الله ﷺ، ولا يقبل منك أن تحاوره أو تناقشـه أو تراجعه في كلام مرشده المقدس لديه.

وأما النفعيون والمتاجرون بالأديان والقيم والمبادئ فلا يدافعون أبدًا عن الحق، ولا ينتظر منهم ذلك، إنما يدافعون عن مصالحهم ومنافعهم فحسب ولا شيء آخر.

وبما أن الجـزاء في الدنيا والآخرة من جنس العمل، لقي سيدنا إبراهيم عليه السلام من أدب ولده إسماعيل عليه السلام ما فاق أدبه هو مع أبيه، على نحو ما صوره لنا القرآن الكريم في سـورة «الصافات»؛ حيث دعا سـيدنا إبراهيـم عليه السلام ربه أن يرزقه الولد الصالح فَمنَّ عليه الحق سبحانه وتعالى بسيدنا إسماعيل عليه السلام، ثم بشره بسيدنا إسحاق، وفي شـأن ولده إسماعيل عليه السلام يقول الحق سـبحانه على لسان سـيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

ونلاحظ أن سـيدنا إسـماعيل عليه السلام قـد خاطب والده بنفس اللفظ والأدب الذي خاطب به سـيدنا إبراهيم عليه السلام

(١) [سورة الصافات، الآيات ١٠٠ - ١٠٢].

أباه﴿ يَـٰٓأَبَتِ ﴾، فهما كما قال الحق سبحانه:﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾[1]، وفي الأثر: افعل ما شِئتَ كما تَدينُ تُدانُ.

* * *

(١) [سورة آل عمران، الآية ٣٤].

الموضوع

مقدمة.	٥
دور العقل في فهم النص.	١١
الضيق والسعة بين العلماء والجهلاء.	١٥
البصيرة في الدعوة والفتوى.	١٩
رسالة العلماء.	٢٥
دقائق الأمور.	٣١
حق الجوار الدولي.	٣٧
صناعة الوعي.	٤١
تحويل القبلة بين النص والواقع.	٤٥
حديث القرآن عن الأمن.	٤٩

حديث القرآن الكريم عن الحق. ٥٣

حديث القرآن الكريم عن الصدق. ٥٩

حديث القرآن عن بُغاة الفتنة والمفسدين في الأرض. ٦٩

حديث القرآن عن الزروع والثمار. ٧٩

حقيقة الدنيا. ٨٣

حرمة المال العام. ٨٩

أسباب رفع البلاء. ٩٣

إطعام الطعام. ٩٧

عمارة المساجد تعظيم لشعائر الله. ١٠١

زواج القاصرات ظلم لهن وللمجتمع. ١٠٥

أبجديات الحوار. ١٠٩

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية
مروان حماد

متابعة
فريال فؤاد

المراجعة اللغوية
د. حسن أحمد خليل
سيد عبد المنعم

تصميم الغلاف
محمد بغدادي

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٢١٦/ ٢٠٢١
ISBN 978-977-91-3142-9